حول جدل فى الجامعة

للأستاذ عبد الفتاح بدوى

— ٣ —

يقول الأستاذ محمد خلف الله فى صفحة ١٢٩٨ من مجلة الرسالة أن نقاشنا إياه ينقسم قسمين مسائل وشتائم وأنه يعرض عن قسم الشتائم ويناقش المسائل .

وليس فى مقالينا اللذين ناقشناه فيهما شتائم فإننا نعيذ قلمنا أن يكون شتاماً فإن الشتائم عيب الشاتم لا عيب المشتوم ولكنه العلم يا أستاذ وهو الجدل العلمى الناصح والعلم لا يعرف الملق ولا التأنق ولا الفرك فى الذروة والغارب إنما العلم هو الألفاظ على دلالاتها : حق وباطل ، وجاهل وعالم ، وصادق وكذاب ، وأمين وخائن وهو سوق الحجة وإقامة الدليل ؛ ولو أننا فى غير مقام علمى لأسبغت عليك من لين الحديث ونعومة الأسلوب ما فى الحرير من طراوة وما فى النسيم من لطف رقيق ؛ ألست ترى أننى حين أتكلم عن شخصك أقول الأستاذ خلف الله وما أنت بأستاذ ؟ فأما إذا وصلنا إلى تحديد الأوصاف فى مقام الجدل العلمى فاعذرنى فالتبعة على نصاحة العلم وعدم قبوله الملق والدهان .

١ — وقال : المعروف دينياً ألا نستنتج من نص قرآنى أمراً لم يقصد إليه القرآن . فقلنا له أن كل كلام لابد له من دلالات ثلاث المطابقية والتضمنية والالتزامية ولا يملك أحد فى الدنيا أن يجرد كلاماً من هذه الثلاث الدلالات أو من بعضها ما دام يملك مسكة من العقل ؛ فجاءنا فى العدد الذى ذكرنا يقول بنصه « ولا نفهم كيف يكون لكل كلام دلالات ثلاث تقصد منه مع أن عبارة المتن — الذى يعرف بعلم البيان — والإيراد المذكور لا يتأتى بالوضعية أى بالدلالة المطابقية ويتأتى بالعقلية أى التضمنية والالتزامية » .

وأنا وأهل العلم جميعاً لا يعرفون متنا اسمه علم البيان « أليست هذه جرأة منى يا أستاذ خلف ؟ » ذلك لأنه لا يوجد متن هكذا وإلا فأين هذا الهراء يا أستاذ ؟

ولا أركك تتخبط كثيراً بل أصحح لك المقام ؛ إنها عبارة مستفيضة فى كتب البلاغة « وأظنك لم تدرسها كما تدل عليه عبارتك » تجدها فى تلخيص المفتاح وفى المفتاح وفى الإيضاح وفى ، وفى ؛ بنصها أو قريب منه ؛ وكأن شيطاناً من الشياطين حولك خطف لك هذه الخطفة من علم البلاغة وهو لا يعيها فألقاها إليك وأنت لا تعيها ؛ وأودعتها مقالك وأنت كذلك لا تعيها ؛ وظننت أنك أتيت بشىء وما هو بشىء .

وإذا كانت هذه عبارة من عبارات البلاغة فما لها ولما كنا وما زالنا فيه من مقام الاستنتاج ؟ ومقام الاستنتاج هو مقام الفهم والتفاهم أى تحميل الكلام دلالاته التى لا يكابر فيها إلا غير عاقل أى فى الدلالات المنطقية كما قلت لك فى مقالى الذى ناقشتك فيه فقلت لك ما نصه « أليس القرآن كلاماً له الدلالات المنطقية الثلاث المطابقية والتضمنية والالتزامية التى لكل كلام ؟ » هذا مقام الاستنتاج الذى كنا وما زلنا نتكلم فيه ، وما له ولعبارة البلاغة تدسها فى غير موضعها دساً وتقحمها اقحاماً ؟ ما للتفاهم والاستنتاج ولإمكان استعمال دلالة دون أخرى فى التجوز والاستعارة ؟! عجيب منك هذا . أتعرف أدب البحث والمناظرة يا أستاذ خلف الله ؟ اعلم أن هذا العلم يقول لك : كلامك فى غير محل النزاع فلا معنى له . ولقد جرك الحق أن تصفع نفسك بنفسك فتقول عن نفسك انك لا تفهم كيف يكون لكل كلام دلالات ثلاث تقصد منه وأنا والله لا أستطيع أن أصفك بغير ما وصفت به نفسك أنه الحق والحق لا محيد عنه .

ولقد كنت أظننى أجادل شخصاً فى جو علمى عال فلا أجدنى بعد الذى ذكرت فى مقالك هذا إلا مضطراً أن أتنزل إلى تلميذ صغير مبتدىء فى تعلم المنطق والبلاغة .

إعلم وفقك الله تعالى أن اللفظ المستعمل فى حقيقته يجب أن تثبت له دلالة المطابقة [قطعاً] ومتى ثبتت له دلالة المطابقة ثبتت له دلالة التضمن [قطعاً] ومتى ثبتت المطابقة والتضمن ثبتت دلالة الالتزام [قطعاً] ؛

فإن كابرت فى شىء من هذا فلا كلام لنا ولا لأحد معك إلا أن تتعلم مبادىء المنطق وتسايرالعقول .

أما المجاز والتجوز والاستعارة إلى غير هذا مما قال علماء البلاغة فلا علاقة له بالاستنتاج وإنما علاقته بإرادة نقل الكلام عن معناه الحقيقى إلى معنى غير حقيقى أو بعبارتهم : فى أداء

المعنى الواحد بطرق مختلفة فى وضوح الدلالة والفرق بينهما كالفرق بين السماء والأرض أو يزيد .

هذا هو العلم وهذا هو الحق أفقهه ويفقهه العلماء فهل تفقهه أنت أيضاً يا أستاذ خلف الله أو تفقهه أنت والذين معك ؟ وهذه أولى مسائلك التى تكلمت عنى فيها ؛ بل ما زال لها ملحق أذكره لك فإنك تقول عنى : ماذا يكون موقفه من العلم حين يثبت بقرائن مادية يقول بها علماء الجيولوجيا من أن هذا البيت [الذى ببكة] ليس أول بيت وضع للناس ؟

وإنى سائلك أنت ؛ أهذا كلام منهج علمى ورجل يتكلم فى العلم ؟ من يقول أن العلم ينبنى على قرائن يا أستاذ خلف الله ؟ إن العلم لا ينبنى إلا على حقائق ، أما الذى ينبنى على القرائن فهو الظن وإن الظن لا يغنى من الحق شيئاً فلو قامت قرائن طبقات الأرض كلها بل وطبقات الهواء والماء والسماء ما دلت إلا على قرائن وظنون لا تنفع فى العلم ولا تقدر فى العلم وإنما الذى يقدر ويعلو ويصول قول الله تعالى : (إن أولَ بيت وضع للناس للذى ببكة) ولست بلائمك على هذا التدهور الفكرى الذى تبنى فيه علماً على قرائن فإن رسالتك كلها من هذا القبيل أدلتها : الفرض والحدس ؛ والتخمين ؛ وأحب أن ألفت الذهن ؛ ومعنى ذلك كما يلحظ القارىء ، وهلم جراً من العبارات الجوف المزوقات ، ثم النتيجة التى تبنيها على هذه العبارات المزوقات الجوف تجعلها حقائق وتسمها بسمات اليقين ؛ عجائب يا أستاذ خلف الله عجائب

اعلم وفقك الله تعالى أن العلم لا ينبنى على قرائن بل ينبنى على حقائق فإن لم تصدق هذا فابحث أنت عمن يصدقك فى ابتناء العلم على قرائن وظنون ولن يصدقك إلا مجنون ؛ أولم تقرأ أنت المقال الذى تحيلنى عليه « القرآن والنظريات العلمية » ؟ اقرأ وتعلم وافقه ورد وتكلم ...

٢ — والمسألة الثانية التى تناقشنى فيها أنك قلت أن القصص القرآنى من المتشابه فقلت لك : لسنا نعرف أحداً من المسلمين يقول أن القصص القرآنى من المتشابه .

وجئت فى مقالك آنف الذكر صفحة ١٢٦٨ من مجلة الرسالة تضع بين يدى نصوصاً كثيرة تنطق بأن من العلماء المسلمين من يقول بأن القصص القرآنى من المتشابه . أوما كان أجدر بك أن تضع الأمور فى أنصبتها ولو مرة واحدة ليكون الجدل أو النقاش علمياً لا مهاترة .

وأنا واضع لك الأمور فى أنصبتها ومعيد عليك وعلى الناس جميعاً ما قلته سابقاً أنه لم يقل مسلم ولا يقول مسلم ولن يقول مسلم أن القصص القرآنى من المتشابه رغم ما نقلته أنت من النصوص التى وعيتها أنا وعرفتها قبل أن تراها بعينيك .

لقد كتبت فى ١٩ سبتمبر سنة ١٩٤٧ أولى مقالاتك التى تقول فيها بعد كلامك عن الصلة بين القرآن والتاريخ ما نصه : « على أن هذه المسألة قديمة ومن أجلها عد الأصوليون القصص القرآنى من المتشابه » و (أل) فى كلمة (المسألة) المتقدمة للعهد أفاهم أنت ؟ والعهد ههنا ذكرى ؛ أفاهم أنت ؟ والمذكور المتقدم صلة القرآن بالتاريخ

وفى ٦ أكتوبر سنة ١٩٤٧ نشر فى الرسالة تقرير الأستاذ أحمد أمين بك وفسر هذا التقرير الصلة بين القرآن والتاريخ فى نظر الأستاذ خلف الله وفى رسالة الأستاذ خلف الله وهذه الصلة عنده أن القرآن لا يتقيد قصصه بالواقع وأنه يحتوى أساطير وأنه ينطق الشخص فى قصة بشىء وينطق سواه بهذا الشىء فى نفس القصة فى مكان آخر ، وأنه ينطق قوماً بما لم ينطقوا به ويقوّلهم ما لم يقولوا وأنه يقول على شىء لم يقع إنه وقع وأنه قد لا يكون للقصص مدلول واقعى أصلا وإنما هو حكاية من واقع نفسانى وأنه لا يتحرى الصدق العقلى والواقع .

وفى ١٣ أكتوبر سنة ١٩٤٧ كتبت يا أستاذ خلف الله مقالا ثانياً ثبت منه جميع ما قاله الأستاذ أحمد بك أمين فى تقريره فأصبحت الصلة بين القرآن وبين التاريخ على أتم وضوح وصارت المسألة التى قال عنها الأستاذ خلف الله أنها مسألة قديمة هى مسألة الصلة بين القرآن والتاريخ على هذا المعنى الجلى الواضح أن القرآن لا يتحرى الصدق العقلى ولا الواقع ؛ وأنه مملوء بالأساطير طالما أن فيه القصص الأسطورى ؛ هذه هى المسألة التى يقول أنها مسألة قديمة فإذا ضم إليها بقية الجملة وهى قوله ومن أجلها عد الأصوليون القصص القرآنى من المتشابه كان الكلام الذى ينصرف إليه نقاشنا هو ما ادعاه الأستاذ خلف الله من أن مسألة الصلة بين القرآن والتاريخ بالمعنى الذى ذكره من المتشابه ؛ أليس كلامنا كله فى مناقشة كلام الأستاذ خلف الله أم هو فى مناقشة كلام من لا كلام لنا معه ؟!

وأعود بك مرة أخرى فأقول : لسنا نعرف أحداً من المسلمين بل أزيد فأقول أنه لم يقل أحد من المسلمين ، ولا يقول أحد من

المسلمين ، ولن يقول أحد من المسلمين إن القصص القرآنى من المتشابه ؛ وما دمت تحاول الإفلات من النقاش العلمى إفلات المهاترة فإنى أزيد لك الكلمة التى هى مكان العهد فأقول لك أى بالمعنى الذى تذكره فى قولك « على أن هذه المسألة قديمة ... » والتى فسرها تقرير الأستاذ أحمد أمين بأقوالك فيما كتبت بعد فإنى لم أرد عليك إلا فى ٢٧ أكتوبر سنة ١٩٤٧ بعد مقالين لك وبعد تقرير الأستاذ أحمد بك أمين .

أما التشابه بالمعنى الذى يعرفه مقاتل أو الطبرى أو سواهما فليس من محل النزاع كما يقول أهل العلم فكيف ساغ لك أن تضع شيئاً مكان شىء ؟ لكن هى الطريقة التى دأبت عليها فى مقالاتك وفى رسالتك ألم أثبت عليك التدليس فى النقل والخيانة فى العلم ؟

وكيف طاوعت لك نفسك أن تجعل المتشابه عند هؤلاء القدامى هو الذى نفيته فى مقالى مع أننى أثبته لك فى مقالى ؟ ! ألم أنقل لك عبارة النار وفيها قال الأستاذ الإمام : إن الآيات متشابهات ؟ أو لم أقل لك أنا فى نفس المقال ما نصه « فالأستاذ الإمام لم يقل أن القصص القرآنى من المتشابه بل قال إن الآيات من المتشابه» وفسر هذا التشابه ... »

هذه هى المسألة الثانية التى تناقشنى فيها وما زال علم أدب البحث والمناظرة يقول لك إن كل النقول التى نقلتها فى غير محل النزاع فلا معنى للاستشهاد بها وإنما يفصل فيها المثل المشهور أريه السهى ويرينى القمر بل لهذه المسألة ذيل قصير فإنه أى الأستاذ خلف الله يقول إنه يعرض على أن الآمدى أورد رأى الأصوليين فى القصص فى كتابه [الأحكام] وليس كتاب اسمه [الأحكام] إنما هو [الإحكام] وقد درست هذا الكتاب مع كتاب ابن الحاجب أعظم كتب الأصول فى القسم العالى بمعهد الاسكندرية ، بل لعلها غلطة مطبعية ، بل الأشبه أنها غلطة الأستاذ وأنه ينقل أو ينقل له من حيث يعرف أو لا يعرف فقد سألت مطبعة مجلة الرسالة إن كان لديها [لام ألف] بهمزة قطع من تحت فأرانيها مدير المطبعة ، والخطب فى هذا الذيل يسير على كل حال ؛ بيد أنها الدقة والاستنتاج أردت أن ألفت إليها ذهن الأستاذ خلف الله .

٣ — والمسألة الثالثة التى يناقش فيها أنه يقول : إن من المفسرين من لا يلتزم أن كل ماورد فى القصص القرآنى من أحداث غير واقعة فقلت له : ولا نعرف أحداً من الأصوليين ولا من المسلمين لا يقول بأن ماورد فى القرآن من القصص إنما هو أحداث وقعت وحوادث هى خلاصة الحقيقة التى وقعت فى سوالف الزمان .

ولقد قال هذا ؛ وقلت له هذا ؛ وجاء اليوم يرد علينا فيقول وإقحام الشيخ الأصوليين هنا لا معنى له ؛ فلماذا لا معنى له ؟ وكلامك هو الذى لا معنى له ؟ أليس الأصوليون قد تكلموا فى القصص كما تكلم فيه سواهم فكان متشابها عندهم أو غير متشابه كن ذكورا يا أستاذ خلف الله فقد نقلت تعرضهم للقصص قبل ذلك بسطور قلائل .

ثم استمعنا كلام المفسرين إذ يقررون أن من القصص القرآنى أحداث [هكذا بالرفع فليسأل الأستاذ خلف عن سبب ذلك] لم تقع ؛ وإنى مستمع ومنصت ومصيخ قال : جاء فى ابن كثير ج ١ ص ٥٩٠ بعد تفسيره لقوله تعالى « ألم تر إلى الذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف حذر الموت ... الخ ما نصه (عن ابن جريج عن عطاء أن هذا مثل) وقد وضع على لفظة مثل رقم (١) وكتب على الهامش بآلة الطباعة هذه العبارة ، يعنى أنها ضرب مثل لا قصة واقعية ...

أين الاستدلال يا عباد الله فى نقل الأستاذ خلف الله ؟ عطاء يقول إن هذا مثل ، والمفسرون جميعاً يجعلون القصص مقابلا للمثل وقد نقلت يا أستاذ خلف ذلك فى نفس هذا المقال غير مرة فى أى عقل يقال لك إن هذا ليس قصة وإنما هو مثل فتقول أنت إن هذا الذى قيل لك دليل على أنه قصة وعلى أن القائل بهذا القول يقول إن فى قصص القرآن أحداثاً لم تقع ؟ ! ارحموا المعقول ارحموا المعقول .

وأنا آخذ بأذنك مرة أخرى وقائل لك يا أستاذ خلف الله من الذى وضع رقم (١) على الهامش ؟ وكيف ساغ لك أن تجعله من الاستدلال فى كلامك مع أنه صفعة لك لا ترحمك ؟ ألم يقل لك الهامش [على عدم اعتدادى به كمستند علمى] أنه ضرب مثل لا قصة واقعة — أفلا يوجهك هذا الهامش (أى يضربك بالكف على وجهك) فيصرخ فى وجهك يقول القصة واقعة وضرب المثل قد يكون بغير واقع ؟ انتبه يا أستاذ خلف الله انتبه انتبة أيقظك الله الذى أيقظ أهل الكهف لا السبعة النيام .

ثم نستمع إليه أى الأستاذ خلف الله مرة أخرى يقول : وجاء فى الرازى ج ٢ ص ٣٣٣ نسخة العالة بدار الكتب وذلك بصدد الحديث عن قصة إبراهيم والطير [المسألة الثانية أجمع أهل